

تفسير السعدي

@ 317 @ تسليط أوليائه على أعدائه ، وتقتيلهم . ! 2 2 ! العذاب المذكور ! 2 ! 2 !
أيها المشاققون ! ورسوله عذابا معجلا ، ! 2 2 ! . وفي هذه القصة من آيات العظيمة ،
ما يدل على أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله حق . منها : أن الله وعدهم وعدا ،
فأنجزهموه . ومنها : ما قال الله تعالى : ! 2 2 ! الآية . ومنها : إجابة دعوة الله
للمؤمنين ، لما استغاثوه ، بما ذكره من الأسباب ، وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده
المؤمنين ، وتقييض الأسباب ، التي بها ثبت إيمانهم ، وثبتت أقدامهم ، وزال عنهم المكروه
والوساوس الشيطانية . ومنها : أن من لطف الله بعبده ، أن يسهل عليه طاعته ، ويسرها
بأسباب داخلية وخارجية . ! 2 2 ! أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية ،
والقوة في أمره ، والسعي في جلب الأسباب المقوية للقلوب والأبدان . ونهاهم عن الفرار ،
إذا التقى الزحفان فقال : ! 2 2 ! أي : صف القتال ، وتزاحف الرجال ، واقترب بعضهم من
بعض ، ! 2 2 ! ، بل اثبتوا لقتالهم ، واصبروا على جلادهم ، فإن في ذلك نصرة لدين الله ،
وقوة لقلوب المؤمنين ، وإرهابا للكافرين . ! 2 2 ! أي : رجع ! 2 2 ! أي : مقره ! 2
! 2 ! . وهذا يدل على أن الفرار من الزحف ، من غير عذر ، من أكبر الكبائر ، كما وردت
بذلك الأحاديث الصحيحة وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد . ومفهوم الآية : أن
المتحرف للقتال ، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى ، ليكون أمكن له في القتال ، وأنكى
لعدوه ، فإنه لا بأس بذلك ، لأنه لم يول دبره فارا ، وإنما ولى دبره ، ليستعلي على عدوه
، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته ، أو ليخدعه بذلك ، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين .
وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعيّنه على قتال الكفار ، فإن ذلك جائز ، فإن كانت الفئة في
العسكر ، فالأمر في هذا واضح . وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين
يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين ،
فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز ، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون
، أن الانهزام أحمد عاقبة ، وأبقى عليهم . أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم
لقتالهم ، فيبعد في هذه الحال أن تكون من الأحوال المرخص فيها ، لأنه على هذا لا يتصور
الفرار المنهي عنه ، وهذه الآية مطلقة ، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد . ^ (فلم
تقتلوهم ول كن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ول كن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
إن الله سميع عليم * ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين * إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن
تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع

المؤمنين) ^ يقول تعالى لما انهزم المشركون يوم بدر ، وقتلهم المسلمون ! 2 ! 2
بحولكم وقوتكم ! 2 2 ! حيث أعانكم على ذلك بما تقدم ذكره . ! 2 2 ! ، وذلك أن النبي
صلى الله عليه وسلم وقت القتال ، دخل العريش ، وجعل يدعو الله ، ويناشده في نصرته ، ثم خرج
منه ، فأخذ حفنة من تراب ، فرماها في وجوه المشركين ، فأوصلها الله إلى وجوههم ، فما بقي
منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه ، وفمه ، وعينه منها ، فحينئذ انكسر حدهم ، وفتر زندهم ،
وبان فيهم الفشل والضعف ، فانهزموا . يقول تعالى لنبيه : لست بقوتك حين رميت التراب
أوصلته إلى أعينهم ، وإنما أوصلناه إليهم ، بقوتنا واقتدارنا . ! 2 2 ! أي : إن الله
تعالى ، قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين ، من دون مباشرة قتال ، ولكن الله أراد أن
يمتحن المؤمنين ، ويوصلهم بالجهاد ، إلى أعلى الدرجات ، وأرفع المقامات ، ويعطيهم أجرا
حسنا ، وثوابا جزيلا . ! 2 2 ! يسمع تعالى ، ما أسر به العبد ، وما أعلن ، ويعلم ما في
قلبه من النيات الصالحة وضدها ، فيقدر على العباد أقدارا ، موافقة لعلمه وحكمته ،
ومصلحة عباده ، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله . ! 2 2 ! النصر ، من الله لكم ! 2 2 ! أي :
مضعف كل مكر وكيد ، يكيدون به الإسلام وأهله ، وجاعل مكرهم محيقا بهم . ! 2 2 ! أيها
المشركون ، أي : تطلبون من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين . ! 2 ! 2
حين أوقع الله بكم من عقابه ، ما كان نكالا لكم ، وعبرة للمتقين ! 2 2 ! عن الاستفتاح ! 2
! لأنه ربما أمهلكم ، ولم يعجل لكم النعمة . ! 2 2 ! أي : أعوانكم وأنصاركم ، الذين
تحاربون وتقاتلون ، معتمدين عليهم ! 2 2 ! . ومن كان الله معه فهو المنصور وإن كان
ضعيفا قليلا عدده ، وهذه المعية